

الثورة العراقية الكبرى

مرحلة من مراحل الكفاح القومي العربي

بقلم الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني

رأينا من اللحظة الموحدة في تاريخ «العراق القديم» في الفصل الاول من هذا الكتاب ان العراق كان منذ أقدم العصور موطناً للشعوب والدول التي انبثقت من الجزيرة العربية، وان العرب قد استقروا في العراق بعد الرسالة، استقرارهم في سائر أجزائه «الوطن العربي» وقامت لهم دول ازدهرت في عهدها الحضارة العربية فشمكت هذا الوطن من أقصى شرقه في العراق الى أقصى غربه في الاندلس؛ وبذلك امتازت البلاد الواقعة بين العراق والاندلس بتمكن الروح العربية فيها. وعلى الرغم من المظالم التي أبادت عرب الاندلس وحملتهم على الجلاء منها والانتشار في بلاد المغرب العربية «مراكش والجزائر وتونس وطرابلس» وعلى الرغم من ضياع الحكم العربي وانتقاله الى غير العرب ممن قلدها العرب وتابعوهم في اعتناق الدين الاسلامي، نقول على الرغم من كل ما تقدم ذكره بقي هذا الوطن عربياً أهلاً باكثرية ساحقة من العنصر العربي، وبقي القرآن الكريم دستور العرب الحي يحفظ لغتهم ويصون عقيدتهم ويحرس حقهم بالاعتزاز بماضيهم والشعور بذاتيتهم وحسبهم فخر أنه نزل بلسان عربي مبين على خاتم الانبياء والمرسلين، الزعيم العربي الخالد محمد (ص).

وليس ادل على شعور العرب بذاتيتهم من حرصهم على دفع الأطماع الاستعمارية عن وطنهم، فلم يستسلم أي بلد عربي للاستعمار الاوربي؛ ولم يحتمل أي ضمم للأجنبي، وقد وجد الطامعون في كل بقعة من هذا الوطن مقاومة عنيفة على الرغم من تكامل استعدادهم ونقص استعداد

يوجدون منهم ما يزيد هذه المشاكل تعقيداً، وعندئذ ينفرون من المدرسة ومن انظمتها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل ربما يتعدى ذلك إلى الشعب والثورة على المدرسة

أنا لا نجد فرقاً كبيراً بين هؤلاء الصبية، وبين أولئك الذين يجدون المثل العليا فيما أنشأته الاجيال القسمة، ولذلك تراهم - ك هؤلاء الصبية - مع فارق بسيط وهو أنهم أشد تمرداً على التقويم - ضحية لا يباح العسبي في أكثر الأحيان، وقد يبلغ المنطق العاطفي بهم حداً يطلبون معه «تزييف» التاريخ ولا يكفون بذلك فيما يدور بينهم من حوار ومناقشة بل يتعدى ذلك إلى الاعلان والنشر... وفي ذلك ما فيه من الجناية لا على التاريخ وحده بل على الاجيال الجديدة التي تبغني الصعود والتقدم إلى الأمام

ومن هنا يستطيع القارئ ان يقدر الخسارة الكبرى التي لحقت الادب مثلاً من وراء خضوع المتنبي للماضي في مطالع قصائده ولا سيما إذا أدرك قيمة العقلية الادبية التي يتمتع بها هذا الشاعر ومدى اتساعها وعمقها، ويستطيع ان يقيس على ذلك ما يشاء من فروع المعرفة.. وهكذا يكون اثر هذا التيار - تيار الماضي في الحياة، وهكذا تكون النتائج..

بغداد

محمد شرارة

سنن الطبيعة -

يا من نرحت وفي الفواد مثاله ملكا يصوره لنا الرسام
زرني فان خفت الانام وكيدهم زر في الخيال اذ الانام نيام
ودع الحديث الى العيون فانها نعم الحديث اذا يخاف كلام
واحذر بزورتك الكواكب والسماء

من ان يراك فانه نعم
سرفي المحاق اذا استطعت فانه للسر احفظ اذ بهم ظلام
سنن الطبيعة هكذا احكامها الله كم تقسوا بنا الاحكام
عبد الزهراء الصغير

العرب في آخر عهد عهود تأخرهم .

استطاع الطامعون ان يتمتعوا اجزاء هذا الوطن العربي جزءاً بعد آخر ولأن يتمسوه فيما بينهم ، فكان هذا الوطن ضحية لتنافس الدول الاوربية فيما بينها فهل يستقيم لها ذلك ؟

لما اراد نابليون بونابارت ان يضرب الامبراطورية البريطانية في الشرق وفكر بغزو الهند ، ففتح مضيق وحتاول الاستيلاء على فلسطين لهذا الغرض ، ففتح الازدهان لخطورة هذين البلدين العربيين ، ولما توالى اندحارانه وكثرت خسائره اراد الفرنسيون ان يعرضوا نكبتهم على يده فاثاروا حرباً شعواء قاسية منذ سنة ١٨٣٠م لاحتلال الجزائر استمرت زهاء ربع القرن فلما تمكنوا منها أصبحت (الجزائر) مركزاً لامتداد نفوذهم ، وبعد نكبتهم في حرب السبعين في أوربة (حرب سنة ١٨٧٠ م) فرضوا الحماية على (تونس) في ١٢ أيار سنة ١٨٨١ م وعلى « مراکش » في ٣٠ آذار سنة ١٩١٢ م بعد أن قهر وادفأ هذين البلدين ، ولم يكن غريباً ان ترى الانكاز يسطون نفوذهم على « مصر » في سنة ١٨٨٢ م بزعم المحافظة على طريق الهند ، كما انهم لم يتأخروا عن بسط نفوذهم على الامارات العربية في الخليج العربي لتحقيق هذا الزعم ، وكان طبيعي ان يشجع الفرنسيون الطليان على احتلال طرابلس الغرب في تشرين الاول سنة ١٩١١ م رغم المقاومة التي لقوها مدة من الزمن ؛ ومن يفتخر بهذا التشجيع منسيو (كابو) الوزير العالم الفرنسي المعروف فقد أكد ان فرنسا هي التي جذبت لاطليان احتلال طرابلس الغرب لتوجيه انظارهم ومطامعهم الى خارج اوربة .

وقد ساد هذا الجزء من (الوطن العربي) في شمالي افريقية « مراکش والجزائر وتونس وطرابلس » حتى مصر ؛ شعور الأمن بالخلاص من الحكم الاوربي على يد الدولة العثمانية باعتبارها الدولة المسلمة الوحيدة التي تستطيع ان تخلص العرب المسلمين من النفوذ الاوربي . اما ابناء « الوطن العربي » في الشرق فقد شعر المتفقون منهم

بان سيطرة الامبراطورية العثمانية باساليب حكمها المركزي أمر لا يجوز الاستمرار على التسليم به لان نظام الحكم فيها وتعبده وما فرض من تأخر وجهل كل ذلك يحمل في ذاته جرثومة الفناء فضلاً عن أن الوعي القومي اخذ يظهر عند المثقفين من العرب ، وفضلاً عن انتشار هذا الوعي بعد تغلغل الفكرة العنصرية عند رجال الدولة العثمانية . وكان طبيعياً الا يكتب في العرب في الشرق الادنى بالدعوة الى (الامر كزية) بل لابد من انتهاء فرصة الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ / ١٩١٨) للتخلص من الحكم التركي وتكوين دولة عربية واحدة وهو ما وعد به الانكاز الشريف حسين .

استغل الحلفاء ابناء (الوطن العربي) في شمالي افريقية كما استغلوا موارد بلادهم للظفر بالحرب العالمية المذكورة ، واستغلوا (الثورة العربية) في الشرق الادنى لتيسير القضاء على الامبراطورية العثمانية ، وطبقت دعايتهم وصحفهم لانضمام الشريف حسين الى جانبهم وعملوا على نقض الدعوة الى الجهاد التي اعلنتها السلطان العثماني بفضل هذا الانضمام داعين ابناء (الوطن العربي) الذين جندوهم في شمالي افريقية الى التضحية في سبيل نصرة الحلفاء كما انتشرت هذه الدعاية بين مسلمي الهند .

ولما انتهت الحرب المذكورة وقضى على الانبراطورية العثمانية ، انكشفت اغراض الدول الاستعمارية في استعمار (الوطن العربي) كله فانتضج للعرب في مختلف ديارهم ما يراهم وبوطنهم فتغلغل الوعي القومي في كافة ابناء الوطن العربي ولم يعد منحصراً في طبقة دون اخرى ، ولا سيما وقد امتد شر تحكم الاجنبي حتى شمل هذا الوطن بأسره وقد زاد في قوة هذا الوعي وسعة انتشاره احداث الحرب العالمية الاولى وما اعقبها من انتشار وسائل المواصلات والخبرات مما قرب اجزاء المعمورة بعضها من بعض وسهل معرفة ما يجري في كل جزء منها بسرعة وسهولة .

انتهت الحرب العالمية الاولى بخيبة آمال العرب ، خيبة

عامة شمل الشعور بها الوطن العربي من مشرقه الى مغربه .
ضاعت دماء العرب التي سفكت لتتصر الخلفاء عبثاً سواء
عنهم الذين انضموا الى (نشوة العربية) زعامة الحسين
وابنائهم ، أو الذين جندهم الخلفاء من سكان شمالي افريقية
وجند الخلفاء كل الجهود والمنافع الحربية التي أفادوها
من (الوطن العربي) في مشرقه ومغربه ، وتبدت كل
الاحلام سواء منها ما كان قائماً على انصاف الخلفاء او على
تجدة الدولة العثمانية بأهليها هذه الدولة وانكشاف اغراض
الدول الاوربية في الاستعمار وحماية مصالحها الانبراطورية
على حساب ابناء (الوطن العربي) .

ها هم العرب يفيتقون من سبات عميق زاد في امتداد
أجله وقوة تأثيره وجود الدولة العثمانية نفسها وجودها
وسوء نظامها وعجزها عن النهوض ومسايرة الأحداث
بتكامل الاستعداد والتقدم المستمر ، وقد انقضى أجلها
واصبح العرب يجابهون الاحداث بانفسهم ، وعليهم وحدهم
واجب التفكير والعمل بالخلاص بانفسهم لا تخدعهم ولا
يغرر بهم أمل في الاعتداد على غيرهم وانتظار المساعدة منهم .
فوجي العرب بمجابهة هذا الوضع الجديد الذي
اخرجهم من كل عزلة مادية كانت ام معنوية ودفعهم
جميعاً في تيار الحياة الحديثة التي تسيطر عليها المدنية الغربية
المادية والمطامع الاستعمارية الاوربية فانتفضت اجزاء هذا
« الوطن العربي » انتفاضة الحي حين تصيب النار أعز
جزء من أعضائه يحس بالالم بكليته ولا يمكنه لا يحسن
توجيه الدفاع عن نفسه الا اذا تمرن عقله على معالجة أمور
هذا الدفاع .

هذا الوطن العربي من أقصى المغرب الى أقصى المشرق
كائن حي واحد ، له ذاتية واحدة تميزه عن اجزاء العالم
كله ، وقد أصيب بنكبة الاعتداء عليه فهل يجمع قواه
للتخلص مما أصابه ؟ هنا تظهر الحاجة الى الاستعداد الفعلي
والى الدفاع ؟ لمفكر أو الى الفكرة القومية الواحدة التي
تنسق الكفاح القومي بين ابناء العرب جميعاً لتخليص وطنهم
كله ، وهذا لا يتم الا بممارسة الكفاح وتوحيد الجهود

القومية بين ابناء « الوطن العربي » كله ، ولابد ان وصول
الى هذه المرحلة من امتداد اثر من وتعاقب التجارب
ومواصلة الكفاح القومي . وقبل ان يبلغ العرب هذه المرحلة
في توحيد الجهود وتنسيق الكفاح لتطهير الوطن كله من
كل نفوذ اجني ، نقول قبل ان يبلغ العرب هذه المرحلة
وجد المنتصرون في الحرب العالمية الاولى تسعاً من الوقت
لتصريف شؤون الامة العربية وتقسيم اجزاء « الوطن
العربي » طبقاً لمصالحهم واغراضهم مستغلين هذه المفاجأة
التي جازها العرب بها مطمئنين الى ان العرب ما زالوا بعيدين
عن ان يجمعوا قوى وطنهم كلها في الكفاح المنظم المنسق
الضامن للخلاص من الحكم الاجنبي لجمع اطراف « الوطن
العربي » في دولة واحدة تكون قادرة على صد كل اعتداء
وتعيد للعرب مجدهم وتضمن لهم بناء مدينة جديدة تتفق مع
مزاياهم الخاصة ، وما ورثوه وما يريدون في مستقبلهم .
على ان هذا الكائن الحي « الوطن العربي » لم يعدم القوة
على اظهار ذاتيته واعتزازه بشخصيته وطموحه الى اعادة
مجده واخذ نصيبه في بناء المدنية حتى في هذه المرحلة
الاولية من مراحل كفاحه القومي ، فقد كافح العرب
الطامعين من الاوربيين في شمالي افريقية كفاحاً اختلفت
قوته عنفاً وامتداده زمناً تبعاً لاستعداد كل جزء من
أجزاء هذا الوطن عند تعرضه للهجوم الاجنبي ؛ أولئك الغفل
نفوذهم ، وكافح العرب في الشرق الأدنى الحكم التركي الى
جانب الخلفاء ولما نبين لهم ما يراودهم ، لجأوا الى مقاومة
غدر الخلفاء وهكذا حدثت ثورتهم وتعاقت متفرقة
في كل جزء من أجزاء هذا الوطن لتنبه الاجزاء الاخرى
الى ضرورة التضامن القومي وتحقيق الاهداف القومية .
وقد ظن الخلفاء المنتصرون انهم قادرون على العبث
بمقوق العرب الطبيعية في حكم انفسهم بانفسهم وبما قطعوا
للعرب من عهود وعما يجب عليهم من وفاء لهم جزاء
اشترائهم بدمائهم وبموارد بلادهم لنصرتهم ؛ واطمان
هؤلاء المنتصرون الى تحقيق سياسة الغدر والكنول واضاعة
الحقوق بفقه تقسيم « الوطن العربي » تقسيماً لا يقره
شيء لا من تاريخ الامة العربية القديم ولا من وضع

(الوطن العربي) الجغرافي ، ولا يرتضيه شعور العرب القومي ولا يتفق بشئ مع قاعدة : حق تقرير المصير ، التي مسلح بها الحلفاء لاثارة أفكار الامة ضد اعدائهم .

ونحن في دراستنا « تاريخ العراق السياسي » لانخرج عن اعطاء صورة حقيقية لهذا الكفاح القومي وريشه في المحقق في تاريخ هذا الكفاح ان يرى ان صفحاته في العراق ليست الا صورة لصفحاته في اجزاء « الوطن العربي » الاخرى وما هو الا مرحلة من مراحل الحركة القومية العربية في سبيل تحرير (الوطن المذكور) واثارة الدولة العربية لتحقيق الاماني الوطنية

« الجهاد طابع العرب القومي »

قلنا ان (الثورة العراقية) ليست الا صورة الكفاح القومي فقد احتفظ العرب (بالجهاد) فيما احتفظوا به من مميزات حياتهم ، وعلينا أن نعالج هذه الناحية بقدر ما يسمح به الوقت .

انتقل الحكم من ايدي العرب الى الاعاجم (من الفرس والترك) فقتلوا اخلال العمود التي اظلمت منذ خرج الحكم من ايديهم الى ايدي هؤلاء مصائب كانت حرية ان تذهب بأية املة اخرى وان تطمس معالمها وتفقد مميزات ، فقد انتشرت الفوضى في صفوفهم وعم الخراب جل بلادهم وتحكم الجهل بين اكثر طبقاتهم ، وطفى الفقر على حياة الكثيرين من افرادهم ، ومع ذلك كله بقي العرب عربا ، وبقي القرآن الكريم دستورهم الحي : يوجه حياتهم ويحفظ أهم مميزاتهم القومية عقلا ولغة ، ويدفعهم في كل مكان الى الجهاد . واننا لنرى شأن **العرب في العراق** شأن اخوانهم في اجزاء « الوطن العربي » الاخرى ، جاهدوا مع الترك الحاكمين لدفع الاستعمار الاجنبي حتى اذا تبين لهم التواء الترك وعجزهم عن الاستمرار في الكفاح انقردوا (بالجهاد) لتخليص بلادهم من شرور الطامعين ، وما حدث في العراق حدث في غيره مما يثبت ان (الجهاد) طابع عربي ، وان العرب ، حتى في ادوار تأخرهم ، لم يفقدوا

الشعور (بذاتهم وشخصيتهم) العربية الخاصة ، وانما تتميز الامة العارفة لشخصيتها ، المعترزة بذاتها بد (الجهاد) لحفظ هذه الشخصية وضمان خلود هذه الذاتية . وفي فكرة (الجهاد) الاصلية عند العرب قهر من على ادراكهم لشكوة الاستمرار والخلود في حياة الامة . فالنبرد ينفذ ، والجيل ينتضي ليحفظ الاجيال المقبلة حريتها ان لا حياة بغير الحرية والشعب الذي يفتقر حريته يعيش (عبثة الميت الحي) الفاقذ لذاته المسخر لغيره . .

أعلن الترك (الجهاد) ضد اعداء الدين الاسلامي الحنيف فعاد عرب العراق اعلانهم عريضة تلزمهم بحرب اعداء الدولة العثمانية المسلمة ولا سيما بعد ان ايد هذا الاعلان علماء الدين على اختلاف درجاتهم وتباين نزعتهم غير ان مساوى الحكم التركي برزت في محنة الحرب فانافت الناس الوائنا من العذاب ، وساد الاضطراب التنظيمات العسكرية وغيرها ، فلم يجهز الجنود بما يحتاجون اليه من سلاح وغذاء وكساء ، ولا كان وضع الاهلين أقل سوءاً منهم ، وطفى الغرور العنصري في نفوس الغلاة من الشباب التركي المتحمس للفكرة الطورانية ، فلم تخل علاقة العرب بالحكام المذكورين من توقر أدى الى نتائج مؤلمة جداً . فقد بقي العربي المجاهد في صفوف الدولة العثمانية موصوفا بالخيانة مع انه تبرع بدمه لنصرتها فاذى هذا الوصم الى ضعف هذه الرابطة التي استطاع الترك ان يبروا بها حكم (الوطن العربي) وهي (رابطة الاسلام) وقد زادها ضعفاً سوء الادارتين العسكرية والمدنية ولجاجة الترك في القضاء على المميزات العربية ، ولا سيما لغة القرآن وهكذا وجد العرب انفسهم في العراق وفي غير العراق من اجزاء « الوطن العربي » بين نارين متأججتين ، وعدوين متباينين : هما الترك والاوربيين الامر الذي أدى الى ان يضطرب موقفهم تجاه هاتين القوتين بخالف الحسين (شريف مكة) ومن لحق به من شباب العرب الحلفاء على أمل الظفر باستقلال بلادهم ، ووقف غيرهم موقفاً

آخر ، وبقيت البلدان العربية تشهد الصراع بين الترك
وخصومهم زمنياً لا يستهان بأجله ، راجية ان تذهب الحرب
باسترداد حكم انفسهم بانفسهم واسترجاع ماخسفهم التامع .
لا ينكر ان فكرة الخلاص من الحكم التركي والاستقلال
القومي لم تكن واضحة كل الوضوح في أذهان العرب
جميعاً . لقد تم (العملية) الاسلامية بين العرب والترك ،
ولكن مما لا شك فيه ان « الثورة العربية » في الحجاز
ظاهرة قوية لوعي العربي القومي ، كما ان مشورات
الحلفاء ووعودهم للعرب بتحريرهم من كل نفوذ اجني
دليل واضح لا يقبل الشك على انهم أدركوا حتى الادراك
ما ينتلج في نفوس العرب من طموح الى حكم انفسهم
بانفسهم ، واسترداد قائد مجدهم . لهذا كان عزيزاً على العرب
ان يذوقوا من الحكم التركي الى حكم اوروبي . واذا كانت
هنالك مبررات للحكم التركي فيما مضى فلم يبق أي مسوغ
لقبول العرب أي حكم اجني . وما دامت نفوسهم الابية قد
ضاقوا بالحكم التركي - رغم (الرابطة الاسلامية) والعوامل
التاريخية - فمن الاولى ان يستنكروا أي استعمار اجني
آخر . ولم يمتد الزمن طويلاً حتى تتجلى اخطاء السياسة
الاستعمارية فيعلم الساسة الاوروبيون وغيرهم ان العرب
لا يفكرون في استبدال سيد بسيد آخر ، وانما اذا كان
وجود الدولة العثمانية (المسلمة) قد بقي عاملاً مهماً في
التغيير بانباء العرب في شمالي افريقية فان زوال
الامبراطورية العثمانية بتمامها وعنفاتها المعروفة بدد جميع
الآمال التي كان يعتمدها هؤلاء على نجدة العثمانيين لهم .
وهكذا نرى ان انتهاء الحرب العالمية الاولى قد وضع
العرب وجهه تجاه ما يراد بهم فاصبحوا مضطرين لمواجهة
هذه الاحداث والعمل على تخليص انفسهم بانفسهم .
وبقضي هذا الوضع الجديد تنظيم الجهود وتوحيد
العمل للخلاص من الحكم الاجني غير ان ذلك لا يتم الا
بعد التنظيم القومي العام وهذا يقضي زمناً قد يطول فيستطيع
المستعمرون ان يثبتوا اقدامهم في (الوطن العربي) وانما

السيد محمد جمال الهاشمي

الجزيرة العربية

حطوا بظلالهم جلال الوادي وسروا برنجهم بكرة الحادي
شالوا الى الامل البعيد بليلة ربداء تاد بها الشجاع الحادي
حافظ عليهم خزة أرياسة عصرت سلاقتها يد الآباد
صرعهم كأس الحياة فزاحت سنة النيسة يقطعة البلاد
نهرا وما يتردوا كأن شراهما تارتب على فؤاد صاد
مها سقا الحفل دل من فضلة بالكأس تلب أوتبل فؤادي
منوا على برشعة خفية ظمى وهمو يظني لرقادي
ازكب سارو في الطريق مخاوف هممت بها الاغوار للانجاد
أين الزام ولا مرام لبرم الا مسيرة القضاء العادي
يهني الالى نفصوا التراب وأدركوا

أن الحقيقة صحيحة في وادي

وتجنبوا طرق الحياة وعاهدوا ان يتعدوا الموت بالمرصاد
فتصاغر سنن الوجود أمامهم وسموا عن الانداد والاضداد
ينكي الانام من الخطوب وعندهم تضاحك الاشواك كالاوراد
ملكوا زمام الدهر فهو بحكمهم يجري على الاعدام والانجاد

تظهر حيوية الامة وتبرز ميزاتها اذا ابى كل جزء منها
الاستسلام والخضوع ولذلك نرى ان العراق قد بادر
من جهته الى مقارمة النفوذ الاجني وجاهد في ثورته
بالتخلص من هذا الحكم .

سيد الرضا الحسن

(يتبع)